عبد الرحمن الكواكبي (*1854 . 1902*م)

يقول "عباس محمود العقاد" عن "عبد الرحمن الكواكبي" وهو يتحدث أن النوابغ من أصحاب الرسالات ما يلي: ((.. أن النوابغ من أصحاب الرسالات فئتان: فئة تظهر لأن أسباب نجاحها تمهدت وتم لها النجاح قبل فوات ذلك الأوان. وفئة أخرى تظهر لأن الحاجة إليها قد بلغت غايتها، وهي التي تظهر لتحقق تلك الحاجة التي تبحث عن صاحبها، وله منها معين يذلل صعابها ويهدى إلى طريقها. و"الكواكبي" نموذج عزيز المثال لأولئك النوابغ أصحاب الرسالات الذين اتفقت لهم أسباب زمانهم ومكانهم وأسباب نشأتهم ودعوتهم، تكاد سيرته أن تغرى بالكتابة فيها لأنها ((تطبيق)) محكم لتراجم هذه الفئة من نوابغ الدعاة)).

أ . حياته:

يعود نسب المصلح "عبد الرحمن الكواكبي" كما يرى المؤرخون من آل الكواكبي أن نسب جدّهم يرقى إلى "علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه . ويذكرون في شجرة هذا النسب علمين من أربيل هما؛ "صفي الدين الأربيلي" و"صدر الدين الأربيلي". ويقولون إنّ من أحفاد الشيخ "صفي الدين الأربيلي" رجلاً يسمى "علي سياه بوش" خرج إلى بلاد الروم ولما وصل إلى حلب بقي فيها، وتزوج من حلبية ثم رجع إلى بلاده، ومن ولده بيت "الكواكبي". ومن أحفاد "صفي الدين" كذلك ظهر "إسماعيل الصفوي" الذي جلس في تبريز علي عرش السلطنة وأسس أسرة الصفويين التي ظلت تحكم إيران قرابة مئة وأربعين عامًا، وقد اشتهرت الأسرة بنشر العلم والأدب، واهتمّت برعاية المؤرخين والفقهاء والعلماء. وذكر هؤلاء المؤرخون من آل الكواكبي كذلك أن نسبهم كذلك من جهة الأم يتصل بـ "محمد الباقر بن علي زين العابدين" ابن الإمام السبط الشهيد "الحسين"، وأن في هذا انسب "بني الزهراء"، وجدّهم الشريف "أبا محمد إبراهيم" المنتقل من حران إلى حلب.

فهم فيما رأى مؤرخهم "حسن الكواكبي" (المتوفى سنة *1129*هـ)، قد جمعوا المجد من أطرافه في العلم والشهرة، وهم على ذلك نازحون طارئون قدموا حلب وسكنوها، فكانوا أعلامًا في الأدب والفقه والدّين، لذلك كانت إليهم نقابة الأشراف في حلب على توالي الأجيال. ويبدو أن أول من اشتهر منهم بالكواكبي كما يقول المؤرخون هو "محمد أبو يحي الكواكبي بن صدر الدين الأربيلي"، الذي انتقل إلى حلب واستقر فيها، وعرف بـ "الكواكبي" لأن في بداية حياته كان حدّادًا يعمل بالمسامير الكواكبية، ثم فتح الله عليه فسلك طريق الصوفية وحصلت له شهرة زائدة حتى كانت الأمراء تأتي إلى بابه، وعندما توفي سنة *897*هـ دفن بجوار الجامع المعروف بالجامع الكواكبي بمحلة الجلّوم . وهي من أحياء حلب اليوم المشهورة . وجامعه يعرف بجامع "أبي يحي الكواكبي" هو جدّ الأسرة الكواكبية التي عملت خلال أربعة قرون في ميادين العلم والفقه فسطروا صفحات لامعة تشهد بفضلهم وتمجّد ذكرهم على الأيام، حتى كان

النصف الثاني من القرن *13*هـ ظهر "أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي" والد المصلح "عبد الرحمن" والذي يذكر أنه عاش ما بين (*1245*هـ . *1300*هـ) ، وكان عالما وفقيه اشتهر بعلم الفرائض وتحرير الصكوك، واشتغل بأمانة الفتوى مدة، وعين عضوًا في مجلس إدارة الولاية، وكان من علماء حلب الذين يعرفون اللغة التركية، كما كان متوليًا على جامع جدّه "أبي يحي وخطيبًا وإمامًا فيه.

تقول الأوراق الرسمية إن "عبد الرحمن الكواكبي" ولد في *23* شوّال سنة *1265*هـ (*1848*م)، ويقوا أبنه الدكتور "أسعد" إنه ولد بعد ذلك بسنوات، وطلب تصحيح تاريخ المولد لدخول الانتخابات، وإنما كان مولده الثابت من سجلات الأسرة في *23* شوّال سنة *1271*هـ (*1854*م)، وتوفي والدته سنة *1276*هـ(*1859*م)، وهو في نحو السادسة من عمره، أو هو قد ناهز العاشرة إذا أخذنا بالرواية الرسمية. والمرجح أنه كان أصغر من سنه في الأوراق الرسمية عند وفاة والدته، فإن أباه أودعه حضانة خالته السيدة "صفية بأنطاكية، فأقام بها إلى سنة *1282*هـ.

ويقال أيضا أنه مكث عند خالته ثلاث سنوات، تعلم خلالها اللغة التركي، وتابع دروسه في القراءة والكتابة، لما تميزت به خالته وهي المشهورة بين أترابها، بذكائها الواسع وإجادتها للقراءة والكتابة والخط، في ذلك الزمان الذي تجد كثيرًا من الفحول يقفون للمعرفة أو الثقافة. بعدها عاد إلى حلب فَعُنى به والده عناية بالغة، وأرسله إلى مدرسة الشيخ "طاهر الكلزي" في قاعة الصقال بحلب بجوار خان الوزير، فتعلم العلوم العربية والتركية والفارسية، لكنه لم يلبث أن سافر ثانية إلى أنطاكية سنة *1281*هـ (*1864*م) وقد بلغ الحادي عشرة من عمره، وفي هذه المدينة دوام على مدرسة خصوصية من أساتذتها بعضُ أنسبائه لأمه العلامة "عبد الرحمن العلبي" عضو شورى الدولة، والسيد "نجيب النقيب" عمّ والدته، وكلاهما مشهوران لعصرهما. مكث "عبدالرحمن" سنة واحدة في أنطاكية ثم رجع إلى حلب وقد بلغ الثانية عشر من عمره، فأدخله والده في المدرسة الكواكبية التي كان والده يديرها ومدرسًا بها، فتعلم فيها مبادئ الدين والعربية. وكان من أساتذته فيها الشيخ "عبد القادر الحبال" والشيخ "محمد علي الكحيل" أمين الفتوى بحلب وغيرهما من فحول العلماء، كما تلقى العلوم العصرية على يد الأستاذ "خورشيد" وهو من أدباء الأتراك المشهورين، فأتقن التركية والفارسية تكلمًا وكتابة.

وإذا كانت الظروف لم تتح للكواكبي دراسته إحدى اللغات الأوروبية الغربية، فلقد ظهرت في كتاباته آثار قراءة المترجمات عن هذه اللغات، وخاصة كتابه: ((طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد))، كما أن ثقافته لم تقتصر على العلوم التي اقتصرت عليها حياة العربية في عصور انحطاطها، بل امتدت دراساته لتشمل كذلك المنطق والرياضة والطبيعة والسياسة، إلى جانب العلوم الشرعية التي كانت سائدة في مثل البيئة العلمية التي نشأ المفكر "عبد الرحمن الكواكبي".

وبعد أن تابع "الكواكبي" دراسته في المدرسة الكواكبية راح يثقف نفسه بمطالعة الكتب من مختلف المصادر، وخاصة ما كان مترجما إلى التركية أو الفارسية، حتى الجرائد التي كانت إليه بمختلف

الوسائل. واشتهر قلمه بين الخاصة، فما إن بلغ الثانية والعشرين حتى أصبح محررًا غير رسمي في صحيفة الحكومة (فرات) التي تأسست عام *1867*م التي ظلت تصدر بالعربية والتركية حتى عام *1911*م، ولم يمضي عام واحد حتى عيّن المحرّر الرسمي للصحيفة. وفي عام *1877*م، وبالاشتراك مع السيد "هاشم العطار" أنشأ "الكواكبي" صحيفة تولى تحريرها بنفسه بعيدًا عن الإطار الحكومي سماها (الشهباء)، لكن هذه الصيفة لم تستمر طويلا، وعطلت عن العدد السادس عشر، بعد أن لم تستطع السلطة العثمانية تحمل جرأته في النقد فأوقفتها. ثم واصل نشاطه الصحفي فأصدر عام *1879*م باسم صديق آخر له جريدة "اعتدال" وسار فيها على نهج (الشهباء) فعطلتها السلطة، بعدها تابع الكتابة في صحف أخرى تصدر في بلدان عربية وغربية متل جريدة (النخلة) بنسختيها العربية والإنجليزية، وجريدة (الجنان) و(ثمرات الفنون) و(الجوائب) و(القاهرة) و(المؤيد)، (المنار)، و(النجاح)، و(الأهرام) و(المصباح)، وربما كتب في غيرهم.

بعد أن تعطّلت صحيفتاه، أنكبّ "الكواكبي" على دراسة الحقوق حتى برع فيها، وعيّن عضوًا في لجنتي المالية والمعارف العمومية، والأشغال العامة، (النافعة)، ثم عضوًا فخرياً في لجنة امتحان المحامين، وفي عام *1886*م، صار مأمورا للإجراءات. غير أن الأمر لم يستمر فبعد أن شعر أن السلطة العثمانية تقف في وجه طموحاته وتعرقل مشاريعه، حتى وصل بها الأمر إلى عزله وقطع رزقه، انصرف إلى العمل بعيدًا عنها، فاتخذ مكتبًا للمحاماة في حي (الفرافرة) قريبا من بيته وسراي الحكومة يستقبل فيه المظلومين من سائر الفئات وسائر أنواع الظلم، فيسعى إلى تحصيل حقوقهم ورفع ظلاماتهم بكتابة الشكاوي وإرشادهم إلى طرق الاحتجاج القانوني، وقد كان يؤدي عمله في معظم الأحيان دون أي مقابل مادي، حتى اشتهر بلقب (أبي الضعفاء). ولكنه إلى جانب عمله الخاص هذا نجده قد شغل مناصب عامة كثيرة دون أن تفلح السلطة العثمانية في جعله تابعا لها، أو أن تحيده عن منهجه في نصرة الحق وخدمة المصالح العامة، للك واجه كل المتاعب في أعماله، وحاربه كل المستفيدين من هذا الفساد، فعندما عين سنة *1893*م رئيسًا لبلدية حلب في زمن الوالي "عثمان باشا" قام بمشاريع عمرانية، وحاول أيضا الحفاظ على سوق المدينة الأثري ولكي يتسنى له ذلك أقام أعمدة حديدية تحول دون دخول الجمال إلى السوق التي كانت تصدم المارة وتملؤه أوساخا، كما درس مشروع (سد الفرات) وتجفيف (مستنقعات الروج)، وكلّف بعض المهندسين باستثمار (حمامات الشيخ عيسى) بعد تجميلها وترميمها. إلا أن المكافأة التي تلقاها "الكواكبي" على اصلاحاته هي عزله، بسبب ضجر التجار الذين منعت دوابهم من دخول السوق، بل لم يكتفي الوالي بعزله، بلّ غرمه قيمة الأعمدة الحديدية، وفروق رواتب موظفي البلدية التي زادها لهما قطعًا لدابرة الرشوة. ومن أعماله أنه عندما تسلّم رئاسة المصرف الزراعي ورئاسة غرفة التجارة في حلب، قام بتأسيس شركة للتبغ بالتعاون مع تجار حلب، حتى يخفف الضغط على الفلاحين، إضافة إلى قيامه بإصلاحات أخرى تضرر منها أصحاب السلطة الذي كانوا يشاركون المهربين في تهريب التبغ،

فأحرقوا مواسم الفلاحين من هذا المحصول، الأمر الذي اضطر "الكواكبي" إلى حلّ الشركة ودفع قيمة الأسهم المستحقة من ماله الخاص. وفي عام *1894*م عندما تسلم وكالة المحكمة الشرعية بحلب تمكن أن ينظّم ديوان المحكمة، ويحارب شهود الزور المتظاهرين بالتّدين الذين يجلسون أمام المحكمة على المصطبة، حتى كان يطلق عليهم (شهود المصطبة)، فكان رد فعلهم أن حاربوه حتى عزل. ثم بعد ذلك عين رئيسًا للجنة بيع الانتفاع من الأراضي الأميرية الذي كان السلطان قد أصدر أمرًا بتملكها وورثته، بدأ "الكواكبي" في توزيعها على الفقراء ويحجبها على المتسلطين من رجال الدولة، فما كان منهم إلا أن عملوا على الاسراع لإقالته.

ولم يتوقف ظلم السلطة العثمانية على ظلم "الكواكبي" الذي لم تفلح في شراء ذمته بالمناصب، قامت باستغلال حادثة محاولة اغتيال والي حلب "جميل باشا" وألقت القبض عليه بتهمة التحريض على قتله، ولكن ساحته بُرئّت وعُزلَ الوالي. ثم اتَّهمته الحكومة بالاتصال بدولة أجنبية، على لسان والي حلب "عارف باشا" بالاتفاق مع دولة أجنبية على تسليم حلب، وبإقامة منظمة سريّة تناوئ نظام الحكم وحُكم عليه بالإعدام أمام محكمة حلب المتآمرة مع الوالي، لكن "الكواكبي" قدّم تظلّمًا ورفض المحاكمة في حلب، كما قامت مظاهرة في حلب تطالب بالإفراج عنه، فاضطرّت السلطنة إلى إعادة محاكمته في بيروت، حيث قدّم دفاعًا شخصيًا عن نفسه، فبرّئت ساحته وتبين تزوير الوالي الأوراق التي اتّهمه بوساطتها، وعُزل. وفي أثناء تلك الأعوام الصاخبة من حياة "الكواكبي" التي تعرض فيها للظلم والسجن وصودرت ممتلكاته، كان يضع فصول كتابه (أم القرى)، كما كان يضع بعض أفكار كتابه (طبائع الاستبداد). وفي نفس الوقت كان حينها، ولكي يتخلص من إلحاح السلطة العثمانية عليه بالتعامل معها، إذ سلّمته قرارًا بتعيينه نائبًا شرعيًّا في قضاء (راشيا) في ولاية سورية فتظاهر بالموافقة لكنه قرّر الهجرة إلى مصر سرًّا بحجة أنّه سيقوم بزيارة إلى ستنبول. وتمكن من الوصول إلى مصر في منتصف شهر نوفمبر*1899*م، وفيها التقى بالمفكّرين والأدباء في الحركة الفكرية، وذاع صيته أين نشر مقالات (طبائع الاستبداد) في صحيفة (المؤيد) لصاحبها "علي يوسف"، وأصدر كتابه (أم القرى) باسم مستعار هو اسم "الفراتي"، كما أصدر (طبائع الاستبداد) تحت اسم "الرحالة ك"، وكتب فصولاً من (أم القرى) في صحيفة (المنار) سنة *1900*م. وفي سنة *1901*م قام برحلة إلى المشرق زار فيها العديد من بلاد آسا وإفريقيا الإسلامية، وخلال رحلته دون خواطره ليصدرها في كتاب، ولكن وفاته المفاجئة حالت دون ذلك، وتوفي يوم الخميس ربيع الأولى *1220*هـ الموافق *14* جوان عام *1902*م في مقهى (يلدز) قرب حديقة (الأزبكيّة) بالقاهرة، وقيل أنه مات مسمومًا على أيدي أعوان السلطان "عبد الحميد الثاني" الذين دسوا له السم في فنجان قهوة.

ب . أفكاره الإصلاحية:

لفهم دعوة "الكواكبي" الإصلاحية يمكن مقارنته بمعاصره الشيخ "محمد عبده" وإن كان يلتقي معه في كثير من المفاهيم الخاصة حول عوامل الضعف التي حلت بالفكر الإسلامي وعوامل التخلف التي أصابت المجتمع الإسلامي، التي سماها "الكواكبي" ((أسباب الفتور)) . غير أن "الكواكبي" يعني بالجانب السياسي ويعلق عليه أهمية كبرى ويشغل فكره بأمر الاستبداد السياسي وأثره في الدولة والأمة والمجتمع، ويربطه بالجبرية وبعوامل الضعف المختلفة. أما الشيخ "عبده" فيعالج المسألة معالجة المربي، ويوجه أكبر عناية إلى تجديد الدين وفتح باب الاجتهاد والتماس منهج التربية كوسيلة لتأكيد اليقظة وتنميتها.

ويعود ذلك في الغالب إلى العوامل الأساسية في فكر كل منهما والبيئة والتحديات التي وجهت كل منهما، فالكواكبي عاش في حلب وواجه نظام الحكم العثماني، ومن هنا فقد هاجر إلى مصر يحمل في أعماقه بذور الحملة على نظام الحكم ولذلك فقد عنى بكتابة مبحث واسع عميق حول ((الاستبداد)). ثم توفر على دراسة قصية التخلف فأفر لها كتابه ((أم القرى)) فستوعب أسباب القصية استيعابًا واسعًا عميقاً. أما الشيخ "عبده" فقد كانت البيئة المصرية التي تأثر بها تحمل طابع الاحتلال وآثاره بعد فشل الثورة العرابية، ولذلك فقد كانت تحتاج إلى نوع آخر من المواجهة، فضلا عن أن الشيخ "عبده ((مصلح إسلامي)) معني بتجديد الدين والأزهر أساسًا، ويمكن القول بأن كلاهما متأثر بالسيد "جمال الدين الأفغاني"، وامتدادا له وقد تأثر كل منهما بناحية من نواحيه فنماها ووسعها وترك منها حصيلة ضخمة للفكر العربي الجديد.

نعود إلى "الكواكبي" الذي قال فيه "العقاد": أنه كان يعمل في إصلاح المجتمع الإسلامي وإصلاح الحكومة المستبدة، فلم يدعْ بابًا من أبواب المعرفة التي تعينه على قصده لم يأخذ منه ما يكفيه ويغنيه، ولم يزهد في أصل من أصول هذه المعرفة إلا ما كان من قبيل الفضول في تحقيق غاياته القريبة وجهوده المرجوة. وقال عنه في موضع آخر: "الكواكبي" فكر كثيرًا، وأطال التفكير، في جميع المسائل التي بني عليها دعوته إلى الإصلاح، وهي دعوة محيطة بشؤون الشرق الإسلامي في زمنه على الإجمال، وشؤون الشرق العربي على التخصيص، وليست من الدعوات التي تتجه إلى ناحية واحدة أو تنحصر في جزء من أجزاء الحياة العامة التي تتفرق العناية بها بين أشتات من المصلحين.

فتمثلت أهم عناوين برنامجه الإصلاحي في الآتي:

1 . الإصلاح الديني: الذي تلخص عنده في تحرير الإسلام من الجمود، الذي من أخطر آفاته هو جعل المسلمين صورة مقلدة ونسخة مستعارة، فهم مسلمون لذمة أسلافهم وليسوا لذمة أنفسهم، وهم مسلمون بالتبعية وليسوا مسلمين بالأصالة، يدينون بالإسلام انقيادًا منهم لمن تقدم ولا يحسبون أنهم أهل

للخطاب على حدتهم، وقد صدق فيهم ما نعاه الكتاب المبين على القائلين: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

وقد علاج هذه آفة هو أن يعاد بالدين إلى بساطته الأولى التي يسرت فهمه لمن تقبلوا دعوته في صدر الإسلام ولا تزال تيسره لم يدعون إليه على بساطته وسهولته بين أبناء الشعوب الفطرية. ومن واجب المسلمين في كل زامن أنَّ يفهموا دينهم وأن يعرفوا حكمة فرائضهم وعقائدهم، فليس من الإيمان الصحيح أن يحال الفهم على من سلف، وأن ينقاد الخلف كله لغير ما عرف، ولا يكمل إيمان المسلم بغير الفهم والاجتهاد في كل موطن من العالم في كل حقبة من الزمن، فإن تعذر اجتهاد المسلمين جميعًا فقيام العلماء بأمانة الاجتهاد فرض كفاية لا يسقط عن جيل من أجيالهم ولا سلامة لم يسقطونه عن أنفسهم.

كما يرى "الكواكب في هذا الشأن أن الجمود والخرافة لا محل لهما بين أتباع دين متسم بالبساطة والوضوح يأخذه خاصتهم وعامتهم مأخذ الفهم والبينة على حسب عقولهم ومصالحهم، فإن التدين على هذا العرف بمثابة بعثة متجددة يتلقاها المسلمون أبدًا وكأنهم هم المسلمون الأولون جيلا بعد جيل. ومن جهة أخرى لم يغفل "الكواكبي" عن خطته العملية لتحقيق الإصلاح في هذا الباب، فإنه يذكر صفة العالم الذي يؤهله علمه للاجتهاد بالرأي والإقناع بالدليل، ويذكر موضوعات الكتب ودرجات هذه الموضوعات التي يتكفل علماء الإسلام بنشرها للعمل بها أو لفائدة المقلدين على تفاوتهم في القدرة على الاستفادة من المطالعة والمراجعة، فينبغي للعالم المجتهد أن تتوفر فيه الصفات التالية:

. أن يكون عارفًا باللغة العربية المصرية القرشية بالتعليم والمزاولة معرفة كافة لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وبقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر إتقانه إلا لم يفني ثلثي عمره فيه.

. أن يكون قارئًا كتاب الله تعالى قراءة فعم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفاسير الرسول صلى الله عليه وسلم أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان.

. أن يكون متضلعًا في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعيهم فقط، بدون قيد بمائة ألف أو مائتي ألف حديث، بل يكفيه ما كفى مالكًا في موطأه وأحمد في مسنده.

. أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأحولهم من كتب السير القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم، وكابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كذلك، والزهري وأضربهم.

. أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل والتعليميين والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيثاغورية وأبحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة وإغربات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتأخرين وحشويات الموسومين وتزويقات المرائين وتمريقات المدلسين.

فإصلاح الدين عنده هو الدعوة إلى نبذ الخرافات والبدع والتقليد الأعمى والرجوع إلى القرآن والأخذ بمنهج السلف الصالح من هذه الأمة، وتجديد الدين وإصلاحه بتنقيته من الشوائب، ويقول في هذا أن ((الدين أفيون الشعوب)) كلمة قالها "لينين" إلى "جوركي" وهو يتجه إلى صورة (راسيوتين)، واصلاح الدين تنقيته من الدجل والخرافة ومحترفي الدين، وتجديد الدين رده إلى أصله والإيمان بأن الدين يدعو إلى العلم والعلم قوة.

وقد هاجم "الكواكبي" في قوة، وقال أنها ؟أقحمت على مفهوم الاسلام النقي، ومن أبرز آثارها أنها رغبت المسلم في أن يعيش كالميت من قبل أن يموت، وعنده أن تعقيد الدين يرجع إلى العلماء المدلسين، ذلك أن بعض ناقضي العلم وضعفاء العزيمة تطلعوا إلى منزلة العلماء وهي فوق طاقتهم فدعاهم ذلك إلى تأويل القرآن تأويلا لا يحتمله نظمه الكريم ولا يتفق مع مبادئه العليا.

2 . مقاومة الاستبداد: ويرى أن تقديس الأولياء راجع إلى استفحال عادة تعظيم الملوك حتى أن الناس يقيسون جبروت الله وسلطانه على جبروت ملوك الدنيا وسلطانهم، ولأن الملوك يختصون بتصريف الأمور العظيمة ويتركون لأنصارهم وأعوانهم أن يتصرفوا في الأمور الصغيرة، لهذا جعل الناس من يلجأ إلى الأولياء في قضاء المصالح كمن يلجأ إلى حاشية الملوك، ومن هنا تنشأ ((الوثنية)) وهي تقديس الإنسان لإنسان مثله فنشأ الذلة في نفسه وتنعكس على أعماله وتصرفاته، أما الإيمان الصحيح فيجعل الإنسان يشعر بأنه مساو لكل إنسان آخر. ويقول: قوام الإسلام رعاية العدل وكفالة الحرية وتحقيق العدالة وتوخى المصلحة العامة، وهو يوجب على الحاكم أن يستشير في أمور أمته الخواص ممن سموا بأهل الحل والعقد، ومن أجل هذا سلب الاسلام رجال الدين سلطتهم الدنيوية فخاطب الله تعالى نبيه قائلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.

3 . العدل الاجتماعي: طالب بتعميم العمل المثمر وتحريم الكسب غير المشروع ومنع التفاوت بين أفراد الأمة بغير أفراد الأمة بغير موجب تقتضيه الخدمة العامة، وازالة التفاوت المفرط في توزيع الثروة بين الأفراد مهما أوتوا في الكفاية أو العمل، واقامة المجتمع على التعاون والتضامن وازالة العجز عن الكسب لمرض أو حرمان وتأميم المرافق العامة ومنع الاحتكار.

4 . محاولة التوفيق بين الدين والعلم: ظهرت في أيامه دعوات تحاول التشكيك في مضامين القرآن ومناهج الإسلام لا يلائم روح العصر الحديث، وقد أثبت "الكواكبي" أن الإسلام داعية العلم وفاتح صدره له، وقال أن كل ما كشف عنه العلم الحديث من مجهول له جذور في القرآن.

5 . العروبة: وعنده أن العرب أقدم الأمم مدنية، بدليل سمو لغتهم وسمو حكمهم وأديانهم، وهم أحرص الأقوام على جنسيتهم، وعاداتهم وأحرضها على الحرية والاستقلال واباء الضيم، ولغتهم هي لغة المسلمين، وهم أقدم الأمم اتباعا لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية، وأعرق الأمم في أصول الشورى، وأهوى الأمم لأصول المعيشة الاشتراكية وأحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة الإنسانية، واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروة. وعنده أن العرب هم أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعا في الدين وقوة للمسلمين حيث كان بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأنفون من اتباعهم أخيرا. والوحدة العربية في مفهوم "الكواكبي" أساسها الإيمان بالله وأول مقوماتها وحدة القيم والمثل، وترتبط العروبة عنده بتجديد مفهوم الإسلام وتجريده من الخرافات والبدع والفضول، وإجمالا فالأمة العربية عنده ذات رسالة يؤمن بها مسلمها ومسيحيها على السواء.

فدعوته أن كانت تدعو إلى أن يعود العرب إلى أفضالهم فيعودوا إلى القوة، وعنده أن كل اصلاح وطني بلا دين نكسة قريبة تدمر كل ما يبلغ الإصلاح من مراحل، فهو يقول: ((إن الذين يبرءون من دينهم لأنهم ينكرون صلة الدين بالقومة ليسوا من أمتنا، أنهم كالعناوين العربية على كتب مترجمة)).

وفي الأخير أن "الكواكبي" أجمل أسباب تأخر المسلمين في أسباب ثلاثة هي: دينية وسياسية وأخلاقية؛ ومن أهمها:

. تأثير عقيدة الجبر في أفكار الأمة وأثر مذهب الزهر في نشر البطالة والكسل.

. اختلاف الآراء في فروع أحكام الدين وأثره في تشويش الأفكار.

. خطأ الاعتقاد بأن العلوم الطبيعية والفلسفة منافية للدين.

. الحكم المطلق أو الدكتاتوري.

. تفرق الأمة إلى عصبات وأحزاب سياسية.

. الاستغراق في الجهل والارتياح إليه.

. إهمال التربية الدينية الخلقية، وفساد التعليم والوعظ والخطابة والإرشاد.

. إهمال تعليم النساء.

. فقدان العدل والمساواة في الحقوق بين مختلف طبقات الأمة.

. اضعاف الرأي العام بالحجر عليه واشاعة التفرقة فيه.

ويمكن القول أن "الكواكبي" عاش من أجل هدفين كبيرين: الأول؛ يتمثل في اصلاح المجتمع والبحث في أسباب تأخر العالم الإسلامي ومحاربة الاستعمار واصلاح الحكم ودعم مبادئ الحرية. أما الثاني فيتمثل في تطهير الاسلام من البدع والخرافات.

المصادر والمراجع:

. القاضي سعد زغلول الكواكبي، **عبد الرحمن الكواكب، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت *1998*.

. عباس محمود العقاد، **عبد الرحمن الكواكبي (الرحالة ك)**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، *1986*.

. عبد الرضا حسين الطعان وأخرون، **موسوعة الفكر السياسي عبر العصور**، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، *2015*.

. علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1897 . 1914**، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت، 1987.

. ماجدة حمود، عبد الرحمن الكواكبي، **فارس النهضة والأدب**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، *2001*.

. محمد جمال طحّان، **الأعمال الكاملة للكواكبي**، ط *7* ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، *2006*.

. محمد عمارة، **الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيا؟**، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، *2006*.

. محمد عمارة، **المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده**، مكتبة الإسكندرية، مصر، *2005*.

. محمد عمارة، **عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام**، ط *2*، دار الشروق، القاهرة، *1988*.